عرض الكتب

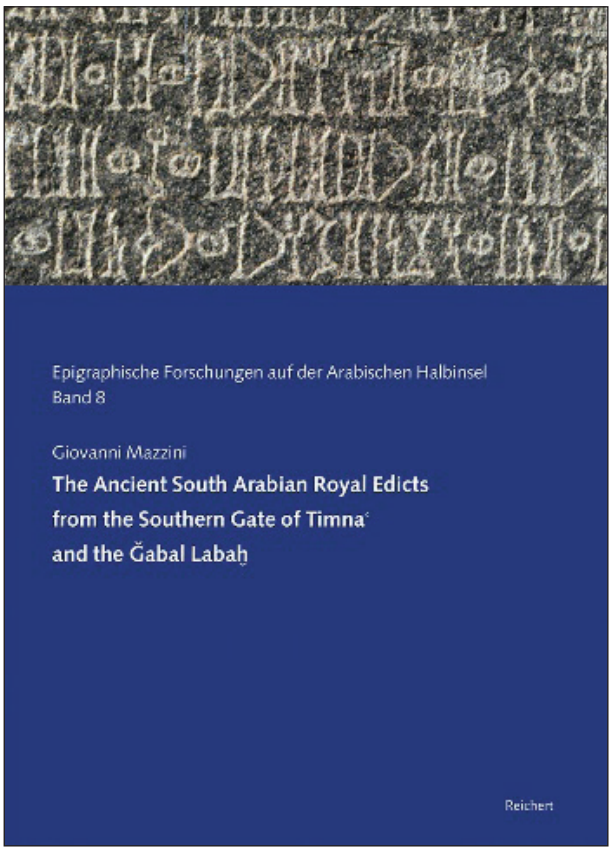

التشريعات المَلَكية العربية الجنوبية القديمة من بوابة تِمنَع الجنوبية وجبل لَبَخ

المؤلف: جيوفاني ماتزيني
من جامعة بيزا، إيطاليا

الناشر: Reichert https://reichert-verlag.de

سنة النشر: ٢٠٢٠

مقاس الكتاب: ٢١ × ٢٩,٧ سم

عدد الصفحات: ٥٠٤

ردمك: ٩٧٨٣٩٥٤٩٠٤٦٦٢

عرض: أ. محمد عطبوش

أهداني أستاذي نسخة من كتاب صدر مؤخرًا لخبير النقوش اليمنية جيوفاني ماتزيني عن التشريعات القانونية في مملكة قتبان في جنوبي الجزيرة العربية، ويقع في ٥٠٤ صفحة من القطع الكبير.

يتناول الكتاب عشرة نقوش قتبانية طويلة ذات طابع تشريعي، وثّقها الباحثون منذ نهايات القرن التاسع عشر في موضعين: على البوابة الجنوبية لمدينة تِمنع عاصمة مملكة قتبان، وقد كان للبوابات صفة رمزية بنحت النقوش التشريعية عليها (ص ٢٨)؛ والثانية من جبل ووادي لَبَخ الذي يبدو أنه كان مقدسًا ويسكنه الإله «ع م / ذ ل ب خ» (ص ٩٩)، وهي بالترتيب:

RES 3878 ; RES 3688 ; RES 3689 ; RES 3692 ; RES 3691 ; RES 3693 ; RES 3854 ; RES 3566 ; RES 3879 ; RES 4931.

يقدم ماتزيني خلال ثمانية فصول وخاتمة في كتابه هذا قراءة جديدة وأحيانًا تصويبات لهذه النقوش، التي أعاد فحصها خلال عمله الميداني في اليمن، بترجمة إنجليزية كاملة وفق آخر المعطيات العلمية المتراكمة في المجال خلال العقود الماضية.

يبتدئ كل فصل في الكتاب بنص النقش كاملًا ثم تقسيمه إلى وحدات (Unites) بترجمة كل وحدة بشكل مفصل، تليها تعليقات تاريخية عامة، ثم تحليل لغوي مسهب لكل تعبير، ومقارنته مع نصوص الشرق القديم كلما أمكن. يشكل ذلك تحليلًا مفصّلًا للنظام القانوني القتباني في قمة ازدهار المملكة ويكشف الدور المهم الذي لعبه القانون في مُجتمعات جنوبي شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، والتشابه المدهش بينها وبين قوانين الشرق الأدنى القديم.

شدني عنوان فرعي بدا وكأنه فصل في رواية رومنسية لا يلائم موضوع الكتاب الجاف والرسمي! إذ أفرد المؤلف الإيطالي في كتابه فصلًا كاملًا عن استعمال مفردات الحب والحميمية (love and intimacy)

كمصطلحات قانونية في بعض النقوش، مثل كلمة (م و د، من المَوَدة). يقول ماتزيني «إن استخدام هذه المفردات أمر بالغ الأهمية، لأنها تتفق مع نمط معين يميز اللغة السياسية للمعاهدات القديمة في الشرق القديم. إذ يُستعمل التصريح بالحب لوصف الولاء بين الأسياد والتابعين، بين الملوك والرعايا» (ص ١٦٦). ويضرب أمثلة لعدة كلمات في اللغات القديمة كلها تحمل معنى «الحب» ومعنى «الولاء السياسي». يدين ماتزيني بهذا التفسير إلى عالم الآشوريات الأمريكي ويليام موران (William L. Moran)، الذي لاحظ في مقالته (The ancient Near Eastern background of the love of God in Deuteronomy) أن العهد القديم يتحدث عن المعاهدات السياسية بألفاظ الحب مثلًا «لأَنَّ حِيرَامَ كَانَ مُحِبًّا لِدَاوُدَ» (سفر الملوك الأول ٥: ١) بالعبرية أوحيب)، وقوله «بِمَحَبَّتِكَ لِمُبْغِضِيكَ وَبُغْضِكَ لِمُحِبِّيكَ» (صمويل الثاني، ١٩: ٦)، تمامًا كما في مراسلات تل العمارنة وماري، وقد لاقت نظريته قبولًا واسعًا.

عند قراءتي هذا الفصل تذكرت آيات قرآنية مشابهة تستعمل مفردات الحب والمودة: (تُحِبُّونَهُم وَلَا يُحِبُّونَكُم)، (يَأتِي اللَّه بِقَوم يُحِبُّهُم وَيُحِبُّونَهُ)، (وَلَتَجِدَنَّ أَقرَبَهُم مَّوَدَّة)! تبدو الآيات عفوية باستعمال مفردة الحب، لكن عند النظر إليها في ضوء هذه الدراسات يترجح أنها تقع ضمن هذا النمط الشائع في لغة الشرق القديم، وأنها تحمل دلالة قانونية معينة.

في عام ٢٠١٢ نشر الدكتور هاني هياجنه (وهو الخبير المعروف ابن المدرسة الألمانية) مقالة عن الخلفية اليمنية لبعض ألفاظ القرآن، وقد ترجمتُها ضمن كتابي «القرآن ونقوش اليمن» (صادر عن دار الرافدين)، تحدث فيها عن الموضوع نفسه، واقترحَ هياجنه ترجمة كلمة «المودة» في قوله «تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّة» بمعنى «حلف» فذلك يلائم اللغة السبئية وسياق القرآن في آنٍ واحد. وقال: حقيقة إن تأثير مفردة «حبل» القرآنية نجده في السبئية، التي ولّدت اشتقاقات عدة من «ح ب ل» بمعنى (عقد ميثاقًا، تحالف). وكلمة حبل في الآيتين ١٠٣ و ١١٢ من سورة آل عمران تشيران إلى الميثاق المعقود بين الله والمسلمين.

بعبارة أخرى، عندما يقول القرآن: ((واعتصموا بحبل الله))، فهو يستعمل مصطلحين (ع ص م، ح ب ل) لهما حمولة قانونية محددة أكثر من المعنى اللغوي المباشر، وهذه الحمولة موثّقة في النقوش العربية الجنوبية: الاعتصام والحبل والمودة والمحبة.

ويبدو أن هذا الاستعمال السياسية لكلمة «المحب» استمر في أرياف اليمن الجنوبية حتى القرن الماضي، وقد لاحظ المؤرخ اليمني محمد عبدالقادر بافقيه أن المبعوث السويدي كارلو لاندبرج (Carlo Landberg) أرسل خطابًا إلى سلطان العوالق العليا في مدينة نِصاب يخاطبه بالقول «إلى حضرة جناب محبنا وصديقنا الشيخ فلان»، ليس تزلفًا له وإنما لأنها لغة تقليدية. ويخمن الباحث اليمني أحمد الجبلي (في موسوعته المهمة «قاموس العُرف القبلي» الصادرة عن المعهد الأمريكي في صنعاء) أن لقب الحبيب والحبايب الذي صار يُطلق على مشايخ آل البيت الصوفية في حضرموت اليوم كان في الأصل لقبًا لعلية القوم في المجتمع القبلي.

مع كل فهم يحرزه العلم في مجال النقوش تتضح الخلفية الثقافية للإسلام. فلغة القرآن عالية ومحمّلة بمصطلحات دينية وقانونية يبدو أنها كانت واضحة للمتلقين الأوائل لدرجة أنهم لم يحتاجوا لشرحها، لكنها نُسيت وغابت عن فهم المفسرين الذين كتبوا تفاسيرهم بعد قرون.

معلومات الكتاب:

العنوان: The Ancient South Arabian royal edicts from the Southern Gate of Timnaʿ and the Ǧabal Labaḥ

الترجمة العربية: التشريعات المَلَكية العربية الجنوبية القديمة مِن بوابة تِمنَع الجنوبية وجبل لَبَخ.

ضمن سلسلة: Epigraphische Forschungen auf der Arabischen Halbinsel الجزء ٨، بإشراف البروفسور نوربرت نيبز من جامعة ينا، ألمانيا.

أ. محمد علي عطبوش: باحث في الآثار، 17200152@ibsu.edu.ge